وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل
الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك
الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو
من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه
فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما
اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان
او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون
الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل
كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل
في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون
الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب
صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره
الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني
المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر
والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن
بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه
صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من
نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل
الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب
ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فابعد وجود الريب

لا ريب فيه

٩

منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة
ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف
على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب
عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد
عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا
بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ
ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه
تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من
ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير
لا ريب فيه فيه هدى للمتقين الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية
بدليل وقوع الضلالة في مقابله قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى
هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون
المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم
قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب
الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم
عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا
فله سلبه وعن ابن عباس رضه اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة
وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت
لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤه على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم
الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقي على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة
المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين

هدى